3

عــواء كلب

قال سندباد :

اختبأنا في ظل صخرة على الشاطئ ونحن نسمع أصوات المجاديف تقترب منا رُوَيدًا رُوَيْدًا، ثم سكتت أصوات المجاديف وسمعنا صوت رجلين يتحدثان. فعرفنا أن القادمين قد بلغوا الشاطئ؛ فأرهفنا آذاننا لنسمع حديثهم؛ فعرفنا صوت أبى الإسعاد، فخرجنا من مخبئنا مطمئنين واتجهنا إليه؛ وقبل أن يتنبَّه إلى وجودنا بالقرب منه صاح به الشيخ : ها نحن قد عثرنا بك قبل أن تعثر بنا !

فالتفت أبو الإسعاد نحونا، فرآنا وعرفنا؛ فاندفع نحونا وهو يقول فرحًا : الحمد لله على سلامتكما!

وكان رفقاء أبى الإسعاد من أصحاب الشيخ، فازداد اطمئنانًا وأمنًا، وازددت اطمئنانًا وأمنًا مثله؛ ثم قلنا لأبى الإسعاد : ماذا ذهب بك وماذا جاء يا أبا الإسعاد، وقد تركناك مع حنظل ؟

قال أبو الإسعاد : لقد كان حنظل الملعون على نية الغدر بنا؛ فلما تبينتُ نيته تظاهرتُ بالغفلة وأطعته في كل ما كان يأمرني به؛ ثم تبينتُ أنه يريد أن يرميني في الهلاك ليفرغ لكما، إذ قال لي: لقد غاب صاحباك يا أبا الإسعاد، وأخشى أن يكون أشرس الشرير قد هبط إلى

الشاطئ فرآهما ودبَّرَ هلا كهما؛ فاذهب فتسلَّق هذه الصخرة وانظر حواليك، لعلك أن تراهما في ضوء القمر قريبين أو بعيدين!

وكانت صخرةً معلَّقة، يمكن تسلُّقها ولا يمكن الهبوط عنها إلا بمعونة، فتحيرت برهةً، ثم تظاهرت بطاعته وتسلقت الصخرة؛ فلما صرتُ فوقها رأيت في عينيه نية الغدر واضحةً، فأردت أن أحتال لخلاصي وخلاصكما، فهتفت به من فوق الصخرة: سأنزل يا حنظل إن الرياح تعصف وتكاد تقتلعني من مكاني لتقذفني في البحر !

قلت هذا ووقفت أترنَّح فوق الصخرة كالسكران، فضحك ضحكةً خبيثةً وقال لي: تشجَّع يا أبا الإسعاد، ثم انظر حواليك لترى ..

فشممت ريح التهديد في صوته، ونظرت إلى جانبي فرأيت البحر يتدافع بأمواجه، فألقيت بنفسي بين أحضان الموج ..

قال الشيخ وهو يعض على شفته : لقد خاطرت بنفسك مخاطرةً عظيمةً يا أبا الإسعاد!

قال أبو الإسعاد : لم يكن في الأمر مخاطرة يا سيدى، فأنا سبَّاحٌ ماهر؛ ولم يكن حنظل يعرف ذلك؛ فانصرف عنِّى معتقدًا أنني غرقت، ومضى ليدبِّرَ أمره؛ أما أنا فأخذت أضرب الماء بذراعيَّ حتى بلغتُ مكان الزورق، فوثبت إليه، ثم عدتُ به إلى المدينة ألتمس رفقاء يعينونني على تخليصكما من كيده..

*****

وقطعنا في الحديث ساعةً قبل أن نفكر فيما كان من أمر حنظل وصاحبه أشرس، ثم تذكرنا، فاتجهنا إلى حيث كانا ....

وكان انتشار الضوء يؤذن بقرب طلوع النهار، والنسيم الرطب يملأ نفوسنا نشاطًا وخفة، وكنا ستة نفر، فمشينا مطمئنين ممتلئين ثقةً وأملًا ...

ولكننا لم نلبث أن وقفنا جميعاً؛ إذ طرق آذاننا عواء ذئب قريب، وأخذنا نتلفَّت حوالينا في اضطراب وذعر، ولكن أبا الإسعاد عاد سريعًا إلى الهدوء والطمأنينة، ونظر إلينا قائلا : أتخاف ونحن ستة؟

ثم سبقنا على الطريق فتبعناه؛ وتردد عواء الذئب في آذاننا مرة أخرى، فقال أحدنا: ليس هذا عواء ذئب واحد، إنه قطيع من الذئاب!

وفى تلك اللحظة رأيت منظرًا عجيبًا، فقد جَثَا أبو الإسعاد على ركبتيه وأخذ يعوى عواء الكلب: **هَوْ هوْ، هوْ !**

فتردَّدت أصداء عوائه في آذاننا ومن حوالينا كأنه عواء كلب؛ فلولا أنني كنت أراه وأسمعه لما صدقت أنه صاحب ذلك العواء؛ ولكن الذئاب صدَّقتْ، فلم يكد عُواؤه يبلغ آذانها حتى انطلقت هاربة ..

ثم بلغنا الحفرة، حيث كان حنظل وأشرس يتعاركان منذ ساعة، ولكننا لم نجدهما، ووجدنا ثيابهما في القاع ملوثة بالدم..